السمات الفنية في زهديات أبي العتاهية

د. عبد الحافظ محمد ناصر عثمان
أستاذ الأدب القديم المساعد بقسم اللغة العربية– كلية التربية والعلوم الإنسانية والتطبيقية سقطرى– جامعة حضرموت
alhanshi833@gmail.com
00967781379673

ملخص

سعى هذا البحث إلى دراسة السمات الفنية في زهديات أبي العتاهية، وكان الدافع لاختيار هذا الموضوع ما يمثله شعر الزهد من مكانة في الشعر العربي لاسيما في العصر العباسي، واعتمد البحث في دراسته على مقطوعات وقصائد في ديوان أبي العتاهية. اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستعانة بالمنهج التاريخي، في دراسة زهديات أبي العتاهية والكشف عن سماتها الفنية.

وخلص البحث إلى نتائج أهمها تعدد موضوعات الزهد، بسهولة لغة الزهديات ووضوحها، وخُتِم البحث بإيراد روافد البحث من مصادر ومراجع.

الكلمات المفتاحية: السمات – الفنية – زهديات – زهد – أبو العتاهية.

مجلة
جامعة المهرة
للعلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
العدد السابع عشر- جمادى الآخر 1446هـ- ديسمبر 2024م
ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

The Artistic Features in the ascetic (Zuhd) Poetry of Abu al-Atahiya

Dr.Abdulhafedh Mohammed Nasser Othman

Assistant Professor of Ancient Literature, Department of Arabic Language – Faculty of Education, Humanities and Applied Sciences Socotra– Hadhramout University

00967781379673

alhanshi833@gmail.com

Abstract

This research aimed to study the artistic features in the ascetic poetry (zuhdiyyāt) of Abu al-Atahiya. The motivation for choosing this topic lies in the significance of ascetic poetry in Arabic literature, especially during the Abbasid era. The study relied on excerpts and poems from the diwan of Abu al-Atahiya. The research relied on a descriptive analytical approach, supplemented by a historical method, to study the zuhd poetry of Abu al-Atahiya and reveal its artistic features.. The research concluded with several key findings, including the diversity of ascetic themes, the simplicity and clarity of the language in the ascetic poetry, and ended with references and sources used in the study.

Keywords: Abu Al-Atahiya, artistic, asceticism features, zuhd.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله سيد الأولين والآخرين. أما بعد،،،

يعد العصر العباسي عصر الازدهار والارتقاء في مجالات شتى، فقد ظهرت في هذا العصر تيارات فكرية كثيرة، ونزعات عقلية لم تشهدها العصور السابقة، أثرت في النتاج الأدبي عامة، وفي الشعر على وجه الخصوص؛ لأنَّها نتاج لظروف سياسية، اجتماعية، ثقافية، دينية، أحدثت نقلة نوعية في الأدب والشعر وأغراضه من أبرزها غرض الزهد، وانتشر في الحياة تيار مضاد لحياة اللهو والمجون، وكان للزهد دور بارز في الشعر العباسي، الذي جاء بمثابة دعوة إيمانية صريحة.

ولقد ظهر الزهد في العصر العباسي على ألسنة الشعراء، فكان أبو العتاهية أحد هؤلاء الشعراء، فقد تغنى بالزهد، ويعدّ زعيم الزهديات في الأدب العربي قديمه وحديثه،

فالزهد عنده فن من فنون الشعر، أراد به وعظ الناس عامتهم وخاصتهم، بأسلوب رائع، وألفاظ سهلة، ومعانٍ لطيفة، قريبة من أفهام الناس.

الزهد: لغةً واصطلاحًا

الزُّهد لغةً: القلَّة، فالشيء الزهيد هو الشيء القليل.[1] و" الزُّهدُ والزَّهاد في الدنيا ولا يقال الزُّهْدُ إلا في الدنيا خاصة، والزُّهْدُ ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزُّهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة".[2] "ويقال: زَهِدَ و زَهَدَ يَزهَدُ فيهما زُهدًا أو زهَادةً فهو زَاهِد من قومٍ زُهّاد، وزَهَّدَهُ في الأمر: رغّبه عنه، يقال: زهد في الشيء وعن الشيء، وعطاء زهيد أي قليل".[3]

والزُّهد اصطلاحًا: "هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال، فتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها".[4]

([1]) لسان العرب: 6، / 1876.

([2]) المصدر نفسه: 96.

([3]) المصدر نفسه: 97.

([4]) كتاب الزهد: 6.

وقد وردت كلمة الزهد في القرآن الكريم على صيغة جمع المذكر السالم في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوهُ بِثَمَنٍ بخسٍ دَرَاهِمَ مَعدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِن الزَّاهِدِينَ﴾ .[1]

"فإنهم قد باعوه بثمن قليل من الدراهم، وزهدوا فيه، لأنَّهم كانوا يريدون التخلَّص من تهمة استرقاقه وبيعه".[2]

أما في الحديث النبوي فقد وردت كلمة الزهد في عدة أحاديث منها: عن سهل بن سعد الساعدي – رضي الله عنه – قال: أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – رجل فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم – ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك".[3]

أسباب اختيار البحث: يرجع اختياري موضوع زهديات أبي العتاهية إلى أسباب أهمها:

1- شيوع قصائد الزهد في شعر أبي العتاهية.

2- قلة الدراسات التي تطرقت إلى خصائص شعر الزهد.

3- الكشف عن سمات الزهد الفنية.

أهمية البحث:

يعدُّ غرض الزهد من الأغراض الشعرية المهمة في الأدب العربي، وضرورة الاهتمام بدراسة شعر الزهد في عصور الأدب كافة، لما له من أثر في النفوس، والزهد مطلب لمن يريد رضى الله، والكف عن ملذات الدنيا، وموضوع الزهد إسلامي النشأة، وقد علَّمنا القرآن الكريم الزهد في الدنيا، فهي متاع الغرور، وعلَّمنا رسولنا الكريم– صلى الله عليه وسلم – وصحابته الكرام النظر إلى هذه الدنيا، بأنَّها ظل زائل، ودار ممر، لا تدوم على حال؛ لنخرج منها غانمين إلى دار الخلود التي أعدها الله – سبحانه تعالى – للعاملين الزاهدين.

أهداف البحث:

1- كشف السمات الفنية في زهديات أبي العتاهية.

2- عرض آراء النقاد في زهديات أبي العتاهية واستقصائها.

([1]) يوسف: 20.

(2) في ظلال القرآن: 4 / 1977.

([3]) سنن ابن ماجة: 2 / 1373.

3- الكشف عن حقيقة زهد أبي العتاهية.

4- توضيح الأسباب التي دفعت أبي العتاهية إلى شعر الزهد.

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستعانة بالمنهج التاريخي، في دراسة زهديات أبي العتاهية والكشف عن سماتها الفنية.

أسئلة البحث:

يتوقع أن يجيب البحث عن عدد من الأسئلة أهمها:

ما هي السمات الفنية التي تحلت بها زهديات أبي العتاهية؟

هل أنشد أبو العتاهية قصائده تعبيرًا عن إحساسه الديني أم أنشدها رغبة في الفن الزهدي؟

هل تأثر في زهدياته بما شاع في عصره؟

ماذا قال النقاد بخصوص زهد أبي العتاهية؟

الدراسات السابقة:

حظي موضوع الزهديات بدراسات أدبية كثيرة، فمنهم من درسه موضوعًا مستقلاً، ومنهم من درسه مرتبطًا بالتصوف، وتمكن الباحث من العثور على عدد من الدراسات:

1- التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري(دراسة موازنة)، محمود لطفي نايف عبدالله، إشراف: الأستاذ: وائل أبو صالح، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين، عام 2009م. هدفت الدراسة إلى الموازنة الزهدية بين الشاعرين من حيث الدوافع والشكل والمضمون.

2- البنى الأسلوبية في زهديات أبي العتاهية، زركوك، سميرة، إشراف: الأستاذ: عبدالقادر سكران، كلية الآداب والفنون، جامعة وهران، الجزائر ، عام 2006/2005م. ركزت الدراسة على أهم ملامح الزهد، والوقوف على التجليات الدلالية والأسلوبية لدى الشاعر.

3- "شعر الزهد في القرن الرابع الهجري"، نزار عبدالله خليل الضمور، إشراف: رشدي علي الحسن، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الأردن، عام 1997م. ركزت الدراسة على شعر الزهد وأهم موضوعاته وسماته الفنية في إقليمي العراق والشام.

4- "شعر أبي العتاهية الزهدي "القضايا المؤثرات"، خالد فرحان، إشراف: رشدي علي حسن، الجامعة الأردنية، الأردن، عام 1995م. هدفت الدراسة إلى الكشف عن القضايا المؤثرة في شعر أبي العتاهية الزهدي.

5- أدب الزهد في العصر العباسي نشأته وتطوره وأشهر رجاله"، عبدالستار السيد متولي، إشراف: الأستاذ: إبراهيم أبو الخشب، جامعة أم القرى، السعودية، 1972م. هدفت الدراسة إلى الكشف عن منزلة الزهد في أدب العصر العباسي.

هيكل البحث:

تناول البحث "السمات الفنية في زهديات أبي العتاهية"، وقسم إلى مبحثين:

تناول **المبحث الأول: التعريف بـ"أبي العتاهية"**.

- نشأته وحياته. – دوافع الزهد عند أبي العتاهية. – آراء النقاد في زهده.

وتناول **المبحث الثاني: السمات الفنية في زهديات أبي العتاهية.** في ثلاثة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: اللغة الشعرية.

- شكل القصيدة. – قرب المعنى وسهولة اللفظ. – الأساليب والتراكيب.

المطلب الثاني: الصورة الفنية.

- التشبيه. – الاستعارة. – المجاز المرسل. – الكناية.

المطلب الثالث: الإيقاع الشعري.

- الوزن. – القافية.

الخاتمة والنتائج – التوصيات.

المبحث الأول: تعريف أبي العتاهية:

هو الشاعرُ أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العينيّ، وهو من قبيلة عنزة بالولاء؛ لذلك سُمّي العنزيّ،[1] شاعر مكثر سريع الخاطرة، في شعره إبداع، جيد القول في الزهد، المديح وأكثر أنواع الشعر في عصره، اشتهر شعره بالزهد حتى أحبَّه الناس على

(1) ينظر: ديوان أبي العتاهية: 5.

اختلاف مذاهبهم؛ وذلك لسهولة شعره لفظًا، وجودته معنًى، اتجه في زهدياته، إلى ذكر الموت والآخرة، وكانت حياته الشعرية مثار جدل بين النقاد، حتى أنَّهم اختلفوا حول حقيقة زهده، وأيضًا في خروجه عن أوزان العروض.

نشأته وحياته:

ولد أبو العتاهية في العام 130هـ – 747م، في قرية عين النمر، وتقع بالقُرب من المدينةِ، ويقال: إنَّها قُربَ الأنبار، وغربي مدينة الكوفة، علمًا بأنَّه قد انتقلَ في صغره بصحبةِ أبيه إلى الكوفة التي جمعت عددًا من العلماء، والمُحدّثين، والزهّاد المُتعبّدين، وفيها عاصرَ عددًا كبيرًا من الشُّعراءِ، والعلماءِ، ومنهم: علقمةُ بن قيس، والربيعُ بن خيثم، وسفيانُ الثوري، وأبو حنيفةَ، وغيرُهم.[1] وأبو العتاهية لقب غلب عليه، ويقال إن الخليفة المهدي قال يومًا لأبي العتاهية: "أنت إنسان مُتَحَذلِقٌ مُعَتَّه".[2] فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه.

حياته الأدبية:

تنقسم حياة أبي العتاهية إلى قسمين متناقضين:

القسم الأول: حياة الغزل والمنادمة، عاش حياته في فترة شبابه كبقية شعراء عصره، فقد أنشد في الغزل، المجون، الرثاء، المديح، الفخر.

القسم الثاني: حياة الوعظ والتقشف، فقد صار زاهدًا حين قارب الخمسين من عمره، أكد ذلك الأصفهاني في كتابه الأغاني إذ قال: "كان أبو العتاهية لا يفارق الرشيد في سفر ولا حضر إلا في الحج، وكان يُجرى عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعادن، فلما قدم الرشيد الرقة سنة (181) لبس الشاعر الصوف وتزهد وترك حضور المنادمة والقول في الغزل".[3]

دوافع الزهد عند أبي العتاهية:

نشأت حركة الزهد في العصر العباسي حركةً مضادة لترف العصر، يقول أنيس المقدسي: "في كل عصر وكل قطر إذا كثرت أسباب الغنى والترف نشأ في المجتمع البشري مجريان

---

(1) ينظر: الساعدي: ديوان أبي العتاهية: 2.

(2) ديوان أبي العتاهية: 5.

- المتحذلق: المتكيس المتطرف. المعته: من كان فيه جنون واضطراب في العقل، ويقال للرجل المتعته عتاهية.

(3) الأغاني: 5، / 158.

متطرفان: الأول: مجرى العبث والخلاعة، والثاني: مجرى الحرص والتقشف، ففي الأول ترى المسترسلين في الشهوات الجارين وراء الأهواء، وفي الثاني ترى الذين عافت نفوسهم ملذات الدنيا فنكبوا عنها إلى زوايا الزهد يدعون الناس إلى النظر إلى ما وراءها".[1]

ولهذا السلوك الذي سلكه أبو العتاهية دوافع منها عامة ومنها خاصة، دفعت أبا العتاهية أن يترك شعر الغزل واللهو والمجون متجهًا إلى الزهد. فمن **الدوافع العامة:**

الحياة السياسية: لقد اصطبغت الدولة العباسية بصبغة فارسية؛ لأنَّ الفرس هم الذين أوجدوها، واتخذوا قصبتها بغداد، فأطلق الخلفاء أيديهم فاستغلوا بشؤونها واستبدوا بأمورها، فضعفت العصبية العربية، وأطلقت الحريات في الدين، وتعددت الفرق.[2] وفي هذه الأجواء عاش أبو العتاهية.

الحياة الاجتماعية: كان يشيع فيها تحضر وترف، وشغف بالغناء، وإغراق بالمجون والزندقة، لهذا نتجت عن هذا الترف حركة الزهد.[3]

وأمَّا الدوافع الخاصة: فتتمثل في طبيعة أبي العتاهية المعقدة، فهو نبطي أحس المسكنة منذ نشأته، وقاده هذا الإحساس إلى أن يصبح مخنثًا ماجنًا، وكل ذلك قاده أخيرًا إلى أن يصبح زاهدًا،[4]فهو وضيع النسب، حقير المهنة، شريف النفس، دعاه هذا إلى أن يتسلح بالزهد؛ حتى يخرج من جو الكآبة والعزلة، التي عانى منها؛ بسبب الصدمات التي وقعت له جراء فشله في حب "عتبة" المرأة التي أخلص لها الحب.

ومن الأسباب التي دفعته إلى الزهد ما عاناه، في حياته فهو من أسرة فقيرة، ويتضح لنا من خلال المعالم التي حددها في شعره، والتي ينبغي أن يسلكها الزهاد؛ أنَّها أُسست على عناصر أساسية: تتمثل في التقشف، اعتزال الناس، استحضار التاريخ للعبرة والتأسي، فيقول:([5])

رَغيفُ خُبزٍ يابِسٍ تأكُلُهُ في زاويه
وكُوزُ ماء باردٍ تشرَبُهُ من صافيه

---

(1) أمراء الشعر العربي في العصر العباسي: 189.
(2) ينظر: تاريخ الأدب العربي: 211.
(3) تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول: 5.
(4) المصدر نفسه: 244.
(5) ديوان أبي العتاهية: 488.

وَغُرفَةٌ ضَيّقَةٌ نفسك فيها خاليه

وأبو العتاهية في زهدياته، يقبل على الحديث عن موضوعات تلتصق بالإنسان، الحياة والموت، وأهم ما أثر في زهد أبي العتاهية القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف.

آراء النقاد في شعر الزهد عند أبي العتاهية

تعددت أراء النقاد في شعر أبي العتاهية بشكل عام، وفي شعره الزهدي بشكل خاص، ويهمنا في هذا الموضوع عرض تلك الآراء النقدية التي تتمحور حول زهدياته.

هناك من يرى أنَّ زهديات أبي العتاهية، لها "صبغة علمية دينية فلسفية "،[1] وقد جاء أثر هذه الصبغة واضحًا في عقيدته، فقد كان "مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد".[2] وعن زهديات أبي العتاهية، يقول الأصفهاني: "وأكثر شعره في الزهد والأمثال، وكان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجون بأنَّ شعره إنَّما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد".[3]

وقد طلب منه المأمون أن ينشده أحسن ما قال في الموت، فأنشده:[4]

أنساكَ مَحياكَ المماتا فطلبت في الدُّنيا الثَّباتا

أوثقت بالدُّنيا وأنت ترى جماعتها شتاتـا

كيف يثق إنسان بالدنيا، وهو يعلم بأنَّها زائلة، فهنا خاطب أبو العتاهية المأمون بهذين البيتين، فهما لا يخصان المأمون فحسب، بل يجب على عامة الناس أن تأخذ منهما الموعظة والعبرة في الحياة.

فأبو العتاهية شاعر العامة لا الخاصة، فـ"الزهد ليس مذهب الملوك، ولا من مذاهب رواة الشعر، ... هو مذهب أشغف الناس به الزهاد، وأصحاب الحديث والفقهاء، وأصحاب الرياء والعامة، وأعجب الناس إليه ما فهموه...".[5]

---

(1) شعر أبي العتاهية في ميزان النقد القديم: 94.

(2) المصدر نفسه: 94.

(3)الأغاني: 2.

(4)أبو العتاهية، أشعاره وأخباره: 74.

(5) الأغاني: 70.

فمنهم من قال: إنَّ "أشعاره في الزهد والمواعظ والحكم لا مثل لها. كأنَّها مأخوذة من الكتاب والسنة، وما جرى به من الحكم على ألسنة سلف هذه الأمة".[1]

ومنهم من وقف موقف الشك من زهديات أبي العتاهية، فقد نقل ابن خلكان عن ابن المعتز يقول: بعض "الشعراء سارت أسماؤهم بخلاف أفعالهم فأبو العتاهية سار شعره بالزهد، وكان على الإلحاد".[2]

فلا أدري كيف حكم على أبي العتاهية، ورماه بالإلحاد، فلو وقف على ديوانه أو بالأحرى أشعاره التي بين أيدينا وأمعن النظر فيها، لجاء حكمه مغايرًا لما ذهب إليه. فأشعار أبي العتاهية التي قالها في الزهد كفيلة بأن تقرر إخلاصه في التوبة، وبعده عن الإلحاد.

ويقول المرزباني: أبو العتاهية "أحد الشعراء المطبوعين،.... ويرمى بالزندقة مع كثرة أشعاره في الزهد والمواعظ".[3] ويعقب الباحث عبد الحاكم، بقوله: فـ"كان على المرزباني على ما له من مكانة عظيمة ولكتابه من شهرة وصيت، أن ينصف الرجل ... وبالرغم من... أنَّه أنصف الشاعر بعض الشيء واستحسن قوله":[4]

حلاوة عيشك ممزوجةٌ فما تأكلُ الشَّهدَ إلا بسُمّ

أما أبو العلاء المعري، فقد وقف موقف الشك من حقيقة زهد أبي العتاهية، وذلك وفق ما أثبته أصحاب دائرة المعارف الإسلامية، بقولهم: "وقد شك النقاد المتأخرون، ولهم بعض العذر، في صدق انصرافه إلى الزهد؛ وخاصة الزاهد الحق أبو العلاء المعري الذي أشار إليه بقوله: ذلك الفتى الأريب".[5]

وعلى الرغم من تلك الآراء التي تشكك في زهد أبي العتاهية، إلا أنَّ جامع ديوان أبي العتاهية، عبد البر النمري، يقول: "والذي حملني على اختصاص شعر هذا الرجل دون غيره، كثرة ما في شعره مما يزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة، وهو في شعر غيره قليل، إلى ضروب من الحكم قد احتوى عليها نظمه وقاده إلى حسن نظمها طبعه، وقد شهد له شيوخ الأدب

---

(1) أبو العتاهية، أخباره وأشعاره: 37.

(2) وفيات الأعيان: 2، / 226.

(3) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: 323 – 328.

(4) موقف النقد العربي القديم من شعر أبي العتاهية حتى القرن الخامس: 6.

(5) دائرة المعارف الإسلامية: 544/1.

بالطبع، وأثنوا عليه بتقدمه في ذلك، وإنه فيما مال بهمته نحوه من المعنى المقصود إليه في هذا الكتاب لا يشق فيه غباره، ولا تدرك آثاره"[1].

المبحث الثاني: السمات الفنية في زهديات أبي العتاهية:

المطلب الأول: اللغة الشعرية

اتسمت لغة أبي العتاهية الشعرية بالسهولة والوضوح، فقد فاق أبو العتاهية أدباء عصره بتميزه بخصائص ينفرد بها بين الشعراء المحدثين، فالمسائل التي تناولها الأدباء والنقاد له في عصره تدور حول سهولة ألفاظه، فقد برئ من الخشونة والنقص، وأنه جدد في أوزان العروض، فهو شاعر الطبع والرقة، وأنه يتناول أشعاره من كمه؛ لأنَّه قريب المأخذ، بعيد عن التكلف، وهو شاعر البديهة والارتجال، وشعره كساحة الملوك قيل فيها الجوهر والذهب والتراب.[2]

1- شكل القصيدة:

إنَّ شعر أبي العتاهية في الزهد تألف من قصائد ومقطوعات كثيرة زادت على أربعمائة وخمسين قصيدة ومقطوعة، وأكثر المقطوعات في شعره تعود إلى الغرض الزهدي الذي قيلت فيه؛ لأنَّ المقطوعات أكثر استيعابًا لهذا الغرض، فهي لا تتطلب التحضير المسبق والعناية والمراجعة كما هو الحال في القصيدة، وإنَّما يقولها الشاعر ارتجالاً، وتكون ملازمة للموقف والمقام، وهذه المواقف كثيرة التي يحتاجها الشاعر في هذا الغرض؛ لتذكير القارئ بالدين الحنيف، ولتذكير بالموت والزهد بالدنيا، والترغيب بالجنة، والترهيب بالنار، والوعظ والنصح والحكم والأمثال.[3]

وموضوع الزهد جعله ينحدر بشعره إلى مستوى العامة، فاقتربت أشعاره من الصياغة النثرية، اتَّسمت بالسهولة والوضوح والبعد عن التعقيد، فـ"الزهد فن شعبي بصفة أساسية، يصنع للقطاعات العريضة من ضعاف ومتوسطي الحال بلسمًا لمعاناتهم وضيق أحوالهم".[4]

---

(1) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره:27

(2) ينظر: الشعر العباسي، تطوره وقيمه الفنية: 276.

(3) ينظر: التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري: 106 – 107.

(4) علم المعاني، ص40.

ويلاحظ من خلال الدراسة في هذا المبحث أنَّ أبا العتاهية اعتمد في قصائده عامة، وفي زهدياته خاصة، المقطوعات، وأحيانًا القصائد، السهولة في اللفظ وابتعد عن الغريب والجزالة، ومخاطبة العامة والخاصة في أسلوبه، واعتمد كذلك أسلوب الحوار والمناقشة، واقتربت قصائده من النثر لسهولتها وترابط معانيها.

2- قرب المعنى وسهولة اللفظ:

اتصفت شاعرية أبي العتاهية، بالبعد عن "الحشو والإغراق، قريب التناول، سهل الألفاظ، يقترب به صاحبه إلى درجة الشعبية أحيانًا، كما كان يسمو به أحيانًا إلى درجة السهل الممتنع".[1]

ويؤكد ابن رشيق القيرواني. أنَّ أبا العتاهية "ذهب إلى سهولة اللفظ فعني بها، واغتفر له فيها الركاكة، واللين المفرط".[2]

ووصف شعره الأصفهاني، فقال: كان "غزير البحر، لطيف المعاني، سهل الألفاظ، كثير الافتنان، قليل التكلف، إلا أنَّه كثير الساقط المرذول مع ذلك، وأكثر شعره هو الزهد والأمثال".[3]

و"أبو العتاهية من مقدمي المولدين من طبقة بشار وأبي نواس، وهو من الشعراء المكثرين الذين لا تكاد أشعارهم تحصى؛ لكثرتها، حتى قيل: إنَّه كان ينظم في اليوم الواحد مئة بيت أو أكثر؛ لذلك كثرت في أشعاره المعاني المكررة والأقوال المعادة، فصار يدور في إطار محدود من الأفكار والأقوال، ولذلك أيضًا صار شعره سهل الألفاظ قريب المعاني، فجرى على ألسنة العامة وسار بينهم، وتحولت تلك السهولة إلى ضعف وركّة أحيانًا".[4]

فحجته في ذلك أنَّه يرمي إلى العظة والتزهد؛ فينبغي أن يكون شعره مفهومًا لدى العامة؛ "حتى إنَّه يتكلم بالشعر في جميع حالاته، ويخاطب به جميع أصناف الناس".[5]

---

(1) المختار من شعر والشعراء في العصر العباسي: 179.

(2) العمدة: 126.

(3) الأغاني: 3 - 4.

(4) نصوص من الشعر العباسي: 50.

(5) مروج الذهب ومعادن الجوهر: 317/3.

وقيل: "اجتمع أبو نواس وجماعة، فدعا أحدهم بماء فشرب، ثم قال: عذب الماء وطابا، ثم قال: أجيزوا، فترددوا، فلم يحضر أحد ما يجانسه في سهولته وقرب مأخذه، وجاء أبو العتاهية، فقال: فيم أنتم؟ فأعلموه وأنشدوه القسم، فقال" حبَّذا الماء شرابا.

ولسهولة ألفاظه كان أقدر الناس على الارتجال، صحب رفقه فسمع زُقاء الديوك، فقال لرفيقه: هل رأيت الصبح صاحا؟

قال: نعم، قال: وسمعت الديك صاحا؟

قال: نعم، قال: إنما بكى على المغتر بالدنيا وناحا.

فاستيقظ رفيقه للكلام أنه شعر، فرواه، فما جرى هذا المجرى فهو ارتجال".[1]

يتضح مما سبق أنَّ شعر أبي العتاهية، لطيف المعنى، سهل الألفاظ، قريب من المتناول حتى على الذين لا إلمام لهم باللغة والأدب، وأكثره في الزهد والأمثال، قال عنه الخطيب البغدادي: "وأكثر شعره حكم وأمثال، وكان سهل القول، قريب المأخذ، بعيدًا عن التكلف متقدمًا في الطبع".[2]

وبعد أن تطرقنا للغة الشعرية في زهديات أبي العتاهية، وجدنا سمة السهولة في اللفظ، وقرب المعنى، بعيدة عن الحشو والإغراق، سهلة الألفاظ تصل أحيانًا إلى درجة الشعبية، وتسمو أحيانًا لتصل إلى درجة السهل الممتنع.

ويلاحظ من خلال الدراسة في هذا المبحث أنَّ هذه السهولة في شعره منذ بداية حياته، وكان يرمي في زهده إلى الوعظ والنصح؛ فينبغي أن يكون شعره مفهومًا لدى الناس على السواء؛ لأنَّ الزهد ليس من مذهب الملوك، ولا من مذاهب رواة الشعر، ولا طلاب الغريب. كما أنه أول من نهج على نظم شعر الزهد؛ لهذا يعدُّ زعيم الزهديات في الأدب العربي، قديمه وحديثه.

3- الأساليب والتراكيب

يعدُّ الأسلوب الركيزة الأولى لبنية النص الشعري، فقد تنوعت الأساليب واتسمت لغتنا العربية، التي خصها الله – سبحانه وتعالى – بكثير من الخصائص عن غيرها من لغات

(1) العمدة: 192.

(2) تاريخ بغداد: 251.

العالم، وهذه الأساليب "ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ما أوتيته العرب".[1]

فنرى في زهديات أبي العتاهية سمات فنية أسلوبية، كقوله:[2]

متبرمًا مني إذا نضد الثرى فوقي طوى كشحًا على هجراني

ويلاحظ في النص تراكيب أسلوبية وظفها الشاعر لإظهار ما أراده بأسلوب رائع، فقد حذف الفعل، والفاعل والمفعول به، والتقدير (ترانا)، وجاءت متبرمًا حال والحال دائمًا يأتي لإظهار حالة صاحبه، وجعله الشاعر في أول البيت لوضع القارئ مباشرة في حال الميت أثناء وضعه في قبره والثرى يفرشه ويغطيه.[3]

وموضوع الزهد جعله ينحدر بشعره إلى مستوى العامة، يحدثهم بالأسلوب الذي يفهمونه، وقد أكثر أبو العتاهية من الأساليب الفنية في زهدياته.

من ذلك توظيفه الإنشاء الطلبي، في زهدياته كثيرًا والانشاء الطلبي: "هو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، وهو عدة أنواع: الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، النداء".[4]

الأمر:

والأمر يخرج إلى معانٍ كثيرة؛ ونجده في زهديات أبي العتاهية، يخرج إلى معنى النصح والإرشاد، فيقول أبو العتاهية:[5]

فكن مُستعَدًا لِداعي المنونِ فَكُلُّ الَّذي هُو آتٍ قريبُ

فالأمر هنا يخرج إلى معنى النصح والإرشاد والاستعداد للموت؛ لأنَّه قريب.

وقال أبو العتاهية يعظ الرشيد:[6]

واعلّم بأنَّ سِهام الموتِ قاصدةٌ لِكُلّ مُدّرعٍ مِنّا ومُتَرَّسِ

---

(1) تأويل مشكلة القرآن: 12.

(2) ديون أبي العتاهية: 221.

(3) ينظر: البني الأسلوبية في زهديات أبي العتاهية: 56.

(4) تصوير المقام في البلاغة العربية: 66.

(5) أبو العتاهية: أخباره وأشعاره: 681.

(6) المصدر نفسه: 194.

فالأمر (اعلم) خرج إلى معنى الاتعاظ والعبرة، فالكل راحل، والموت لا يصده شيء إذا حان وقته.

وقال مرشدًا للنفس الإنسانية إلى حتمية الزوال سواء طال الوقت أو قصر:[1]

يا نفسُ لا بُدّ من فناءٍ فقصِّري العُمرَ أو أطِيلي

وظّف الشاعر فعل الأمر توظيفًا جيدًا ليرشدنا إلى عدم الركون إلى كل ما هو فانٍ كحب الدنيا فهي زائلة فانية لا محالة، ناصحًا لنا بأن لا نتبع الهوى ونغترَّ بحب الدنيا، أن نتمسك بالدين ونعمل لآخرتنا.

النهي:

لقد خرج النهي في زهديات أبي العتاهية، إلى النصح والوعظ، كما في قوله يعظ الرشيد:[2]

لا تأمنّ الموت في طرفٍ ولا نفسٍ وإن تمنَّعت بالحُجابِ والحرسِ

ينهي عن مسألة الإنسان من الإنسان؛ حتى لا يتعرض للاحتقار، فالسؤال يجب أن يكون من خالق الإنسان:[3]

لا تسألنَّ المرءَ ذات يديهِ فليحقرنَّكَ من رغبتٍ إليهِ

وقال في معنى الدعاء والاعتراف بالذنب:[4]

إلهي لا تُعذِّبني فإنّي مُقرٌّ بالّذي قد كان مِنّي

كثر استعمال أسلوب النهي في زهديات أبي العتاهية، وجاء عنده على صيغتين هي "لا تفعل"، المضارع المقترن بنون التؤكيد، وقد جاء بغرض الوعظ، التحذير، والدعاء الاعتراف بالذنب.

النداء:

لقد أكثر أبو العتاهية في زهدياته، من أسلوب النداء؛ وذلك من أجل إثارة السامع، وتنبيهُ إلى أمورٍ كثيرة خلال حياته، فنجده اعتمد على أسلوب الحوار، فيقول مؤكدًا ومعترفًا، بحتمية الموت على الجميع:[5]

ألا يا موتُ لم أرَ منك بدٌّ أتيتَ فلا تحيفُ ولا تُحابي

---

(1) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره: 301.

(2) المصدر نفسه: 194

(3) المصدر نفسه: 710.

(4) المصدر نفسه:375.

(5) المصدر نفسه: 33.

كما قال أيضًا في الاستعداد للقبر والنصح والوعظ بالتزود لذلك المسكن:[1]

يا ساكنَ القبرِ عن قليلٍ ماذا تزوَّدتَ للرَّحيلِ

استطاع أبو العتاهية أن يوظّف أسلوب النداء بسمات فنية في زهدياته، وقد أكثر من استعمال الأداة "يا، الهمزة، أي، أيا" في غرض الوعظ تارة، والنصح والإرشاد تارةً أخرى.

الاستفهام:

كثيرًا ما يوظف الشعراء الاستفهام في أشعارهم، وفي زهديات أبي العتاهية كثر استعمال أدوات الاستفهام، وهذه الأدوات هي: "الهمزة، أم، هل، ما، من، أي، كم، كيف، أين، أنّى، متى، إيّان"[2].

قال أبو العتاهية في إحدى زهدياته، يحث الناس، على ترك انشغالهم بالدنيا:[3]

لمن نبني ونحنُ إلى تُرابِ نصيرُ كما خُلقنا من تُرابِ

وقال محذرًا الأغنياء من خداع أنفسهم بجمع الدنيا، لأنهم سيتركونها وراءهم:[4]

ألا أيُّها المُخادع نفســـهُ رُويدكَ أتدري من أراكَ تُخادعُ

ويا جَامع الدُّنيا لغير بلاغةٍ ستترُكُها فانظُر لمن أنت جامعُ

وقال أيضًا في ذم جمع المال متعجبًا في جامعه:[5]

لمن المالُ الَّذي أجمعُهُ ألنفسي أم لأهلي والولد

ويلاحظ من خلال الدراسة في هذا البحث أنَّ الشاعر وظف أسلوب الاستفهام بسمة فنية جمالية فائقة؛ لتنبيه الغافلين بالحديث عن زوال الدنيا، والفناء، والمخطئ المخادع نفسه، وإنذاره، الموت، والتهويل منه، وجاءت أغراضه ما بين الوعظ، والتفكر في المصير، والتوبيخ، والتعجب، والنصح الإرشاد.

المطلب الثاني: الصورة الفنية

الصورة الفنية هي الوسيط الأساسي الذي يكشف الشاعر بها تجربته، وهي ليس شيئًا ثانويًا

---

(1) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره: 301.

(2) مفتاح العلوم: 308.

(3) المصدر نفسه: 33.

(4) المصدر نفسه: 216.

(5) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره: 180.

يمكن الاستغناء عنه، بل هي وسيلة حتمية للتعبير والإدراك بشكل تعجيز اللغة العادية عن إدراكه أو توصيله.

فالأنواع البلاغية للصورة الفنية عديدة ومتنوعة، كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية.

1- التشبيه:

"هو عقد مقارنة تجمع بين طرفين، لاتحادهما أو اشتراكهما في الصفة أو حالة، أو مجموعة من الصفات والأحوال، وهذه العلاقة قد تستند إلى مشاعر حسية، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين المقارنين، دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية أو في كثير من الصفات المحسوسة"[1].

فالشاعر أبو العتاهية أكثر من التشبيه في زهدياته، لا سيما في تصويره الدنيا والموت فمن ذلك.

أ- التشبيه المفرد: وهو "ما يكون فيه الوصف المشترك محققًا في شيء واحد".[2] وهنا يستعمل أبو العتاهية التشبيه المفرد في تصويره للموت، يقول:[3]

الموتُ بابٌ وكُلُّ النَّاسِ داخلُهُ فليت شعري بعد البابِ ما الدَّارُ؟

فهو تشبيه مفرد يشبه الموت بالباب، وهذا الباب كل الناس تدخله، فنلاحظ صيغة الاستفهام تخفيفًا لهول الموت وبشاعته، أي ماذا بعد الموت؟ إلى أين سيؤدي هذا الموت؟ إلى الجنة؟ أم إلى النار؟

ويقول أيضًا:[4]

هُو الموتُ فاصنع كُلَّما أنت صانعُ وأنت لكأسِ الموتِ لا بُدَّ جازعُ

فأبو العتاهية في البيت السابق يشبه الموت بكأس، وكل الناس سوف تشرب من هذا الكأس، فنراه يخوف الأغنياء، أنهم مهما صنعوا في هذا الدنيا، فلابد لهم من هذا المصير.

---

(1) أسرار البلاغة: 88.

(2) أبو العتاهية: أشعاره وأخباره: 141

(3) التصوير البياني: 26.

(4) أبو العتاهية: أشعاره وأخباره: 398.

يظهر من خلال الدراسة لهذا المبحث أنَّ أبا العتاهية، قد أكثر من التشبيهات المفردة في زهدياته؛ لأنَّ موضوع الزهد يخاطب به العامة من الناس؛ فجاءت التشبيهات أقرب للفهم، وأسهل في معرفة المغزى منها.

ب – التشبيه التمثيلي والضمني

ورد التشبيه التمثيلي في زهديات أبي العتاهية، في موضوع الدنيا، الموت، البعث والحساب، أما التشبيه الضمني قد كان نادرًا في زهديات أبي العتاهية؛ لأنَّ هذا التشبيه، يحتاج إلى عرض صورة مركبة بصورة أخرى.

يقول أبو العتاهية وهو يصف هجوم الموت عليه عند كبر سنه، وهجوم الشيب على شبابه:[1].

كأنَّك قد هَجمتَ على مشيبي كَما هجم المشيبُ على شبابي

وهذا تصوير للموت والمشيب عندما يهاجمان الإنسان، وهو لا يستطيع الإفلات منهما، أو تأخيرهما، ويقول أيضًا مصورًا زوال الدنيا وتقلبها كالحلم أو ظل السحاب، أو الأمس الذي ولَّى أو لمع السراب:[2]

أراك وإن طُلبت بكُلِّ وجهٍ كَحُلمِ النَّومِ أو ظلِّ السَّحابِ
أو الأمس الذي ولَّى ذهابًا فليس يعودُ أو لمع السَّرابِ

صوَّر أبو العتاهية هذا الزمان المتقلب الذي لا يستقر على حال، كالإنسان الذي يتقلب أثناء حلمه، أو كظل السحاب الذي لا يثبت في مكانٍ واحدٍ، أو الأمس الذي ذهب ولم يعد، أو لمع السراب الذي يلمع ويظنه الإنسان ماء، وهذه الصور جاءت تؤكد بأن الدنيا زائلة وغير مستقرة.[3]

وهذه صورة مركبة، يصور فيها أبو العتاهية الناس الذين يرتعون في الفتن والضلال، كالحيوانات التي في المراعي، فيقول:[4]

لله دُنيا أُناسٍ دائبون لها قد ارتعوا في رياض الغيِّ والفتنِ

---

(1) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره: 216.
(2) المصدر نفسه: 33.
(3) ينظر: التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري: 157.
(4) أبو العتاهية: أشعاره وأخباره،: 398.

كسائماتٍ رواعٍ تبتغي سمنًا وحتفها لو درت في ذلك السّمنِ

فهو يؤكد للناس أنَّ الدنيا فانية، وأنَّها لا تستحق هذا الاهتمام.

ويقول أبو العتاهية:[1]

ترجو النجاةَ ولم تسلُك مَسالِكَها إنَّ السَّفِينةَ لا تجري على اليبسِ

قال أبو العتاهية: هذا البيت في الوعظ، فيصور حال الإنسان الذي يريد أن ينجو من الهلاك بعد الموت، لم يستعد له بحال، من يجهز السفينة كي ينجو بها من الغرق، فالسفينة هنا لا تفيد في النجاة، وفي هذه الصورة يحذر الإنسان من عدم الاستعداد للآخرة، وهذه الصورة تعدُّ مثلًا وحكمة، تقال في عدة مناسبات إلى يومنا هذا.

فالتشبيه، هنا ضمني؛ لأنَّ المشبه هو عدم تحقيق الغاية التي يريدها المرء إذا لم يسلك الوسائل المؤدية إليها، والمشبه به هو إخفاق من يريد تسيير السفينة على الأرض.

2- الاستعارة

يعرف السكاكي الاستعارة بأنها: "أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر، مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالًا على ذلك بإثباتك للمشبّه، ما يخص المشبه به".[2]

ويعرف الجرجاني الاستعارة بقوله: " واعلم أنَّ الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفًا، تدل الشواهد على أنَّه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية".[3]

وهي "تنقسم إلى قسمين: تصريحية و مكنية، والمراد بالأولى: هو أن يكون الطرف الأول المذكور من طرفي التشبيه هو المشبّه به، والمراد بالثاني: أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبّه".[4] ومن الاستعارات التي جاءت في زهديات أبي العتاهية، قوله:[5]

كلنا في غفلةٍ والـــــ موت يغدو ويروح

---

(1) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره: 194.

(2) مفتاح العلوم: 369.

(3) أسرار البلاغة: 22.

(4) مفتاح العلوم: 373.

(5) أبو العتاهية: أشعاره وأخباره: 98.

فالشاعر يشبه الموت بالإنسان الذي يذهب ويروح، حذف المشبّه به، على سبيل الاستعارة المكنية، ويقول أيضًا:[1]

إنَّ الأصُول الطَّيِّبا تِ لها فُروعٌ زاكية

ويلاحظ من خلال دراسة هذا المبحث، كثرة الاستعارات المكنية لدى زهديات أبي العتاهية، وقلة الاستعارات التصريحية، وذلك لأنَّ موضوعات الزهد وأحوال الناس فيها واقعية ومشاهدة.

3- **المجاز المرسل**

تعريفه هو "كلمة أو تركيب استعمل في غير معناه الحقيقي، لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وقد تكون العلاقة في المجاز المرسل السببية أو المسببة، أو الجزئية، أو الكلية، أو اعتبار ما كان، أو اعتبار ما سيكون، أو المحلية، أو الحالية".[2]

يقول أبو العتاهية:[3]

لدِوا للموتِ وابنوا للخرابِ فكُلُّكُم يصيرُ إلى ذهابِ

فالشاعر جعل في هذا البيت مجازًا "لدوا للموت"، فهم يلدون أناسًا أحياء باعتبار ما سيكون أمواتًا في المستقبل، والمجاز الثاني "ابنوا للخراب"، فهم يبنون البيوت والقصور، ومصيرها الخراب مستقلا.[4]

ويقول أيضًا:[5]

كَأنَّ حَيَّاً قد قامَ ناديهُ والتَّفتِ السَّاقُ منهُ بالسَّاقِ

وفي هذا البيت مجاز مرسل علاقته المحلية، "قام ناديه"، فالنادي هو المكان الذي يجتمع فيه الناس، والمقصود الموجود في النادي، ليس النادي نفسه.

---

(1) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره: 440.

(2) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: 334 – 335.

(3) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره: 33.

(4) ينظر: التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري: 161.

(5) أبو العتاهية: أشعاره وأخباره: 598.

يلاحظ من خلال دراسة هذا المبحث، أنَّ أبا العتاهية استعمل المجاز المرسل بكثرة في شعره، والسبب يعود إلى أن الظروف السياسية التي كانت سائدة آنذاك، جعلته يخرج عن الكلام الحقيقي إلى المجاز؛ ليخفي شخصيته، ويقي نفسه من شر حاسديه، وحاقديه، ومن ملاحقة الخلفاء والحكام.

4-الكناية

الكناية "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه؛ لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان طويل النجاد؛ لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة...".[1]

وهي " أن تطلق اللفظ، وتريد لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي".[2]

ويكثر أبو العتاهية في زهدياته، من استعمال الكناية، فهو يكني عن صفة الغضب والندم بـ"عضضت أناملي" و"قرعت سني" فيقول:[3]

فكم من زلَّةٍ لي في البرايا وأنت عليَّ ذُو فضلٍ ومــنِّ
إذا فكَّرتُ في ندمي عليها عضضتُ أناملِي وقرعتُ سنِّي

وهذه الكناية تعطي صورة جميلة، فنراه يصور ذلك المذنب التائب من ذنبه، فهو يعض أصابعه من شدة ندمه على ما بدر منه، كناية عن الغضب، ويقرع سنه كناية عن ندمه على ما فرط من ذكر الله، فالكناية هنا كناية عن صفة.

ونراه يصور تشابه الناس كأنَّهم صنعوا في قالب واحد، فيقول:([4])

حتَّى كأنَّ النَّاس كُلَّهم قد أفرغوا في قالبٍ واحد

فهو يُصَّور عدم ذكر الناس بعضهم بالثناء والمديح، وتساويهم في هذه الصفة، كأنَّهم صنعوا في قالب واحد، فالكناية هنا كناية عن صفة.

وكما يقول أيضًا مكنيًا عن صفة كراهية الدنيا وداعيًا إلى النزاهة والكفاف عنها؛ لأنَّها دار مرور وعبور:[5]

---

(1) مفتاح العلوم: 402

(2) البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والمعاني: 43.

(3) أبو العتاهية: أشعاره وأخباره: 376.

(4) المصدر نفسه: 107.

(5) المصدر نفسه: 116.

تبلَّغ من الدُّنيا ونل من كفافها ولا تَعتَقِدها في ضميرٍ ولا يدِ

ويظهر من خلال دراسة هذا المبحث أنَّ أبا العتاهية، أكثر من التشبيهات، الاستعارات، الكنايات، المجاز المرسل، في زهدياته؛ لأنَّ هذا الأسلوب البلاغي يأتي في مقدمة الفنون البلاغية، وبالنسبة للتشبيهات نجده أكثر من التشبيه المفرد؛ لأنَّه أسهل في الفهم، ومعرفة المعنى المطلوب، أما التشبيه الضمني والتمثيلي فقد كان نادرًا في زهدياته؛ لأنَّهما يمثلان صورة مركبة لا يستطيع الكثير من الناس فهمها.

المطلب الثالث: الإيقاع الشعري

1- الوزن

يعدُّ الوزن بنية إيقاعية مهمة في موسيقى الشعر إذ "إن النزعة الخطابية ظلت تفرض نفسها على الشعر في العصر العباسي، فإذا بالشاعر حريص على بناء إيقاعات مجلجلة تنشر من وقت إلى آخر وقفات عالية النبرة، وكل هذا لكي يحدث التأثر الأخاذ للجمهور، يحدد من آونة إلى أخرى نشاطه إلى الاستماع والمتابعة، وكانت الأوزان المطوّلة، هي في الغالب الإطار الإيقاعي الأنسب لتحقيق هذا الهدف، كالبحر البسيط والطويل والكامل".[1]

ويلاحظ من خلال دراسة هذا المبحث أنَّ أشعار أبي العتاهية الزهدية يكثر فيها من اهتمامه بنظمها على البحور الطويلة، ولاسيما في شبابه، أما في كبر سنه نجده يستخدم البحور الخفيفة، فنراه في مرضه الذي مات فيه، قال: مقطوعة على البحر "مجزوء الخفيف" فيقول:[2]

أذُنُ حَيّ تُسمعي اسمعي ثُمّ عِي وَعِي

"والباحثون يعقدون الصلة بين الشاعر وما تخيره من أوزان الشعر"([3])، فـ"الشاعر يختار البحور التي تلائم صوته قوةً و ضعفًا، فالشاعر ضعيف الجسم، ضعيف الصوت، والشاعر المريض بأمراض مزمنة وأمراض الصدر وغيرها، يعجز أن ينشد شعرًا من البحر الطويل أو

(1) في الشعر العباسي، الرؤية والفن: 438 – 439.
(2) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره: 231.
(3) موسيقى الشعر: 59.

البسيط أو غيرها، من البحور الطويلة؛ حتى يحتاج المنشد لها أن يلتقط أنفاسه عقب كل بيت".[1]

فالأشعار التي قالها أبو العتاهية في شبابه، اختار لها البحور الطويلة التي تلائم صوته وقوة جسمه. فمن زهدياته، في النصح، قوله:[2]

اصحَب ذَوِي الفَضلِ وَأَهلَ الدّينِ فالمَرْءُ مَنسوبٌ إلى القرينِ

استعمل أبو العتاهية في زهدياته، أوزانًا مستحدثة خرجت عن أوزان العرب المعروفة، و يؤكد ابن قتيبة في كتابه، الشعر والشعراء، أنه "قال شعرًا موزونًا يخرج عن أعاريض الشعراء وأوزان العرب ... وشعره في الزهد كثير حسن رقيق".[3]

ومن نماذج خروجه عن العروض، قوله:[4]

عُتبَ ما لِلخَيالِ خَبّريني ومالِي
لا أراهُ أَتاني زائِرًا مُد ليالي

فالوزن في البيتين: فاعلن فاعلاتن، مرتين، وهو عكس المديد.

ويعد هذا من الأوزان "المهملة التي استخدمها أبو العتاهية، وغيره من الشعراء العباسيين، وكأنَّهم أحسّوا نقص أنغامها وإيقاعاتها بالقياس إلى الأوزان المستعملة".[5]

واختلف النقاد في هذه القضية، فمنهم من أجازها، ومنهم من رفضها، وأنكرها، وقالوا ينبغي على الشاعر عدم الخروج على أوزان الخليل العروضية، وهذا ما رأينا عند ابن عبدربه "فقد أنكر على الشعراء الخروج على الموسيقا الخليلية، .....رأيه بعدم جواز استخدام البحور المهملة في الشعر".[6]

ويرى بعض النقاد، ضرورة تجديد الأوزان، ولكن مع الحفاظ على الأوزان القديمة، يُفضّل أن يأتي هذا الأمر تدرجيًا؛ حتى تألفه الأسماع، وهذا ما أكده إبراهيم أنيس بقوله: "ومن الممكن للمحدثين من شعرائنا أن يجددوا، ولكن بقدر، وفي أناة ورفق؛ حتى لا يفاجئ قراءهم

---

(1) الشعراء وإنشاد الشعر: 100
(2) أبو العتاهية: أشعاره وأخباره: 448.
(3) الشعر والشعراء: 676.
(4) أبو العتاهية: أشعاره وأخباره: 618.
(5) تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول: 196.
(6) ديوان الأندلسي، ابن عبدربه: 212.

وسامعهم بما لم يألفوا، أو بما لا يمت القديم بأي صلة، وإنما يكون ذلك بالاقتصار في نظمهم على ما شاع من أوزان، وإهمال غيرها إهمالًا تامًا، فإذا ابتكروا وزنًا حاولوا جهدهم أن ينظموا منه كثيرًا، وأن يتعاونوا في كثرة النظم منه بحيث يصبح شائعًا مألوفًا، وتقرب نسبة شيوعه من ذلك الأوزان التي ألفها الناس، وتعودوها".([1]) والذي يظهر أن الرأي الثاني هو الصواب، التجديد في الإيقاع الشعري ضرورة، دون إهمال الأوزان القديمة أو الهجوم عليها، فالتجديد مطلوب، ولكن دون التصادم مع القديم.

ويلاحظ من خلال دراسة هذا المبحث بعض الاختلاف في الوزن الشعري في زهديات أبي العتاهية، فهو يستعمل الأوزان الطويلة؛ لأنَّ ذلك يحتاج إلى نفس طويل؛ للتأثير على الناس وإقناعهم بصحة رأيه ونظرته إلى الحياة واعتقاده بالموت. أما في كبر سنه وعجزه، ولاسيما في حديثه عن والوعظ والنصح والجنة والنار، فاستعمل البحور القصيرة؛ لتتناسب مع نفسية الشاعر المنفعلة والمتوترة، والحريصة على الخير للجميع.

2-القافية

حظيت القافية باهتمام الشعراء والنقاد، وهي بمثابة السجع في النثر، فهي قوام الشعر وملاكه، وهي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرًا حتى يكون له وزن وقافية، ويعد حرف الروي،[(2)] أبرز حروف القافية وأهمها.

فـ"اختيار قافية القصيدة أبعد من اختيار بحرها، وذلك بنسبة ما يربو عدد القوافي على عدد البحور، والمرجع في ذلك سلامة الذوق وغزارة المادة، فالقريحة الجيدة في غنى عن أصول توضع لها بهذا المعنى، ولو فرضنا من الممكن وضع مثل هذه فهي من نفسها تقع على القافية والبحر بلا جهد لا تردد، ومع هذا فلا بأس من إيراد بعض ملاحظات قد تتراءى للناظم أثناء النظم، وللقارئ أثناء القراءة".[(3)]

ويرى النقاد أنَّ هنالك حروف روي ضعيفة وكريهة، ينبغي على الشعراء اجتنابها "وهي على الترتيب: التاء، الخاء، الذال، الزاي، الشين، الصاد، الطاء، الظاء، الغين، الواو"؛[(4)] بسبب "قلتها في اللغة العربية، فإذا نظم الشاعر منها ضيق على نفسه ما وسّعه الله عليه، فإما

(1) إبراهيم : أنيس، موسيقى الشعر: 18.

(2) الرويّ هو أحد حروف القافية الذي تبنى عليه القصيدة، ويتكرر تكرر أبياتها، وتنسب القصيدة إليه.
– ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، باب الراء: 190.

(3) شرح إلياذة هوميروس: 95-96.

(4) الشعراء وإنشاد الشعر: ص120.

أن يكتفي بالمقطوعات التي لا تستوعب غرضه كله، وإما أن يعيدها بنفسها فيعيد قبحَا مرتين".[1]

فنرى أنَّ شعراء العصر العباسي جددّوا في القوافي مستحدثين ما سموه المزدوج والمسمّطات، فالقافية فيه لا تطّرد في الأبيات، بل تختلف من بيت إلى آخر، وفي هذا النوع الجديد المزدوج، يضرب لنا أبو العتاهية الأمثال، بقوله:[2]

نستعصمُ الله فخيرُ عاصمِ قد يُسعدُ المظلوم ظُلمُ الظّالمِ

أنت إلهي وبكَ التّوفيـقُ والوعدُ يُبدي نورهُ التّحقيقُ

اللهُ حسبي في جميع أمرِي بهِ غنائي إليه فقـــرِي

فالقافية في هذه الأبيات تختلف عن بعضها البعض، فنجد البيت الأول ينتهي الصدر والعجز، بالميم المكسورة، في حين ينتهي الصدر والعجز في البيت الثاني، بقافٍ مضمومة، كذلك البيت الثالث الراء المكسورة مع الياء، انتهى صدره وعجزه.

"وهذا النوع من الأوزان هو الذي رشّح لظهور الرباعيات في الأدبين العربي والفارسي، وهي تتألف من أربعة شطور، تتفق أولها وثانيها ورابعها في قافية واحدة، أما الشطر الثالث فقد يتخذ نفس القافية وقد لا يتخذها".[3]

"أما المسمّطات فهي قصائد تتألف من أدوار، وكل دور يتركب من أربعة شطور أو أكثر، وتتفق شطور كل دور في قافية واحدة، ما عدا الشطر الأخير، فإنه يستقل بقافية مغايرة، وفي الوقت نفسه يتحد فيها مع الشطور الأخيرة في الأدوار المختلفة، ومن أجل ذلك يسمى عمود المسمط، فهو قطبه الذي يدور عليه، وإنما سمّي مسمّطًا من السمط، وهو قلادة تنظم فيها عدة سلوك تجتمع عند لؤلؤة أو جوهرة كبيرة، وكذلك كل دور في المسمّط يجتمع مع الأدوار الأخرى في قافية الشطر الأخير".[4] وهذا النمط شاع في العصر العباسي، تحديداً في الزهديات، وتنوعت فيه القافية بين مُطلقة ومقيدة.

وقد وردت القافية المقيدة في زهديات أبي العتاهية قليلة جدًا، فيقول في الموت[5]:

---

(1) الشعراء وإنشاد الشعر: ص122.

(2) أبو العتاهية: أشعاره وأخباره: س445 – 446.

(3) تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول: 197.

(4) المصدر نفسه: 198.

(5) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره: 55.

ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

من يعيش يكبر ومن يكبر يَمت والمنايا لا تُبالي من أتت

فشعر الزهد هو الغرض المناسب للقافية المقيدة، فقد اشترط النقاد أن تعتمد على مد قبل حرف الروي، فإن عامة البحور القصار يصلح فيها التقييد من غير اعتماد على مدّ قبله[1].

يلاحظ من خلال دراسة هذا المبحث أنَّ شعر الزهد هو المناسب للبحور القصار؛ لأنَّه يعتمد على النصح والوعظ والتذكير بالموت والآخرة، والتنفير من الدنيا وذم الملوك والأغنياء، والإقامة، في مثل هذا المقام تبعث على الملل والسأم، فكان هذا هو الدافع على الإيجاز؛ حتى القصائد الطوال في أشعار الزهد اعتمدت البحور القصار.

نتائج البحث:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فله الحمد والشكر أولًا وآخرًا، وبعد فقد خلُص البحث، إلى نتائج أهمها:

1- يعدُّ أبو العتاهية من أشهر شعراء العصر العباسي، وأول من نهج نهج الزهد.

2- أنَّ الزهد قد نشأ نشأة إسلامية خالصة مستمدًا أصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، قولاً وعملاً.

3- الحياة السياسية والاجتماعية من الأسباب التي عملت على تقوية النزعة الزهدية عند أبي العتاهية، حيث كان المجتمع يموج بألوان من التناقضات، فالثراء والمجون، يقابله البؤس والحرمان، ثم الصراعات السياسية، وإزهاق الأرواح والدماء والأشلاء المتناثرة.

4- تعددت موضوعات الزَّهديات وتنوعت، إذ كان موضوع الموت أكثرها اهتمامًا عند أبي العتاهية، وما يسبقه من نذر الشيب والكبر، ثم ما يتصل بالموت من وصف القبور، وأحوال الناس يوم القيامة، والتنفير من الدنيا، والتحذير من فتنتها، والقناعة وذم الحرص والمال، وذم ذوي الجاه والسلطان، وكثرة النصائح والمواعظ.

5- أنَّ سلاح الموت هو أقوى سلاح استعمله الشاعر في زهدياته، للتخويف والزجر، وما يعقب الموت من حساب وعقاب وجنة ونار.

6- أنَّ لغة الزهديات، سهلة واضحة بعيدة عن التكلف وقد تصل إلى حد الابتذال والاقتراب من لغة العامة.

---

(1) المرشد إلى فهم أشعار العرب، الدار السودانية: 3/1.

7- أنَّ شعر الزهديات، يغلب عليه طابع المقطوعات وليس القصائد، وذلك بسبب الظروف النفسية التي يعيشها الشاعر، ثم لأنه يخاطب الطبقة العامة من الناس، فهي القاعدة الشعبية له، بحيث يسهل التأثير فيها، وتقبلها لما يقول من أشعار.

8- برزت سمات فنية في شعر الزهديات، فمعظمه شعر مقطوعات تحث على الزهد والتخلي عن الدنيا، والوعظ بها، ألفاظه سهلة بسيطة في تركيبها، مع استعمال أساليب النداء والاستفهام والتعجب؛ لتكون هذه المقطوعات أكثر تأثيرًا، وأسرع حفظًا و انتشارًا، حيث يتناقلها الوعاظ والقصاص والناس جميعًا على اختلاف فئاتهم.

9- استعمل أساليب بلاغية في زهدياته؛ لرسم الصورة الشعرية، فجاءت هذه الصورة حيّة متحركة للموت والدنيا، وغيرها من موضوعات الزهد، صورة تنفر من الدنيا، وتدعو للأخرة.

10- أنَّ التجديد في الأوزان في زهدياته، قد أوقفه في الخروج عن العروض، وهو مالم يتقبله النقد القديم.

التوصيات:

1- ضرورة الاهتمام بدراسة شعر الزهد في عصور الأدب، فله مكانة مرموقة بين أغراض الشعر الأخرى.

2- تشجيع الباحثين على دراسة زهديات أبي العتاهية، فهي تحوي العديد من الموضوعات المتنوعة من صور بلاغية وجمالية فنية نحوية وأدبية. التي لم تدرس بعد.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء الأول، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1948م.

ابن رشيق، أبو الحسن القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء الأول، ط3، 1383هـ - 1963م.

ابن قتيبة: الشعر والشعراء، الجزء الأول، دار الثقافة، بيروت – لبنان، د.ط، 1964م.

ابن قتيبة: عيون الأخبار، شرحه وضبطه علق عليه: د. يوسف علي طويل، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ط، 1418هـ - 1998م.

ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة، المجلد الثاني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، د.ط، د.ت.

ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ – 1988م.

أبو الأنوار، محمد: الشعر العباسي، تطوره وقيمه الفنية، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1987م.

أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق: شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة النشر، د.ط، 1964م.

الأسعد، عمر: نصوص من الشعر العباسي، مكتبة المنار: الأردن – الزرقاء، ط1، 1405هـ – 1985م.

الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، شرحه وكتب هوامشه: سمير جابر، الجزء الرابع، دار الفكر: بيروت – لبنان، د.ط،1390هـ – 1970م.

أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط5، 1987م.

أنيس، إبراهيم، وزملاؤه، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، 1392هـ – 1972م.

البستاني، سليمان: شرح إلياذة هوميروس، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت.

الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، تح: هـ رينر، دار المسيرة، بيروت – لبنان، ط3، 1403هـ – 1983م.

الجندي، علي: الشعراء وإنشاء الشعر، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1387هـ – 1967م.

الحموي، ياقوت: معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ – 1995م.

الخطيب البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي: تاريخ بغداد، الجزء السادس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان د.ط، د.ت.

خليف، يوسف: تاريخ الشعر في العصر العباسي، دار الثقافة للطباعة والنشر، د.ط، 1402هـ – 1981م.

ديوان أبي العتاهية، دار الطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1406هـ – 1986م.

الزيات، أحمد حسين: تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية العليا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.

السكاكي، أبو يعقوب بن أبي بكر محمد بن علي: مفتاح العلوم، تحقيق: الأستاذ نعيم زرزور، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1403هـ – 1983م.

شرارة، عبداللطيف: أبو العتاهية شاعر الزهد والحب الخائب، ط1، نيسان "إبريل" 1962م.

ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1409، هـ – 1989م.

عباس، فضل حسن: البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والمعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمان، ط3، 1409هـ – 1989م،

عتيق، عبد العزيز: علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1405هـ – 1985م.
فنسنك، وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، مجلد1، ترجمة: إبراهيم زكى خوري رشيد وأخرين، المكتبة الحديثة، بيروت، ط2، 1969م.
قطب، سيد: في ظلال القرآن، مجلد الرابع، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ط12، 1406 هـ – 1986م.
المرزباني: محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، 1385هـ – 1965م.
المسعودي، أبو حسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1385هـ – 1966م.
المقدسي، أنيس: أمراء الشعر في العصر العباسي، دار العلم للملايين، ط29، 1994م.
نوفل، محمد محمود قاسم: المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي، مطبعة وأوفست النصر، نابلس ط1، 1981م.
هدارة، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1963م.
وهبة، مجدي وزميله: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

الرسائل:

زركوك، سميرة: البنى الأسلوبية في زهديات أبي العتاهية، إشراف: الأستاذ: عبدالقادر سكران، رسالة ماجستير، كلية الآداب والفنون، جامعة وهران، الجزائر، 2006/2005م.
عبد الحاكم، محمد: موقف النقد العربي القديم من شعر أبي العتاهية حتى القرن الخامس، رسالة ماجستير، إشراف: عثمان موافى، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية، 2007م.
عبدالله، محمود لطفي نايف: التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري دراسة موازنة، إشراف: الأستاذ: وائل أبو صالح، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابس – فلسطين، 2009م.

البحوث المنشورة:

عبدالهادي، أحمد أبو قاسم: شعر أبي العتاهية في ميزان النقد القديم، مجلة الأندلس، للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد(58)، المجلد (9)، سبتمبر، 2022م